وسط سكان عرب معادين لا يساعد الجيش الاسرائيلي، بل يحتّم عليه انتشاراً غير سليم لقواته، من أجل توفير الحماية للمستوطنات. ولم يزد المستوطنون من قوة ردعنا؛ وليس هذا فحسب، بل انهم أدّوا، اكثر من أي عامل آخر، الى غليان قومي متطرف معاد لاسرائيل»[٥٦].

ولهذا بالضبط، فان مجتمع المستوطنين ظل الاكثر تعرضاً لمختلف الحالات المرضية والنفسية، والافراط في التطرف حتى ارتكاب الجرائم الوحشية، الفردية والمنظمة. وهذا ما يخشاه الاسرائيليون الذين يعتقدون بأن لا مفرّ من عودتهم الى اسرائيل، وانه لا بد من انتقال حالة العنف التي يحملونها الى الحياة المدنية في المجتمع الاسرائيلي.

ويخشى الكثير من المراقبين، من جانب آخر، من انه اذا ما استمرت الانتفاضة، فان المناطق المحتلة ستتحول الى ساحة حرب حقيقية لا يمكن التكهّن بنتائجها. فـ «المستوطنون يشعرون بأنهم معفيّون من التردد... في أخذ الأمور بأيديهم»، باعتبار انهم «هم الذين اختاروا السكن في المناطق [المحتلة] متجاهلين الاخطار... وحالياً، لا تستطيع أية جهة ان تمنحهم الأمن الكامل هناك». وحذرت صحيفة «هآرتس» من انه «لو سارت الحكومة في الاتجاه الذي يريده المستوطنون، فان المناطق [المحتلة] ستصبح ساحة حرب حقيقية»[٥٧]؛ وذلك على الرغم من ان «معظم المستعمرات اليهودية في المناطق [المحتلة] تحوّل، خلال الشهور الماضية، الى جيوب منزوية، محروسة جيداً بحرّاس ودوريات تابعة للجيش الاسرائيلي»، حيث «تمضي الباصات والسيارات الخصوصية التابعة للمستوطنين، بشكل عام، في مواكب مسلّحة من الجنود، وتطوف سيارات جيب عسكرية حول المستعمرات اليهودية ليل نهار؛ ويكتشف الكثير من المستوطنين طريقهم الى مستعمراتهم فقط في قوافل منظمة مع مواكب مسلحة. وفي عدد من الحالات، وصلت تظاهرات عنيفة قام بها سكان عرب في الضفة الغربية الى بوابات التجمّعات السكنية اليهودية، وزرعت فيها خوفاً عظيماً»[٥٨].

ويذكر، في هذا المجال، «ان جهود الاستيطان بدأت تتعثر بسبب الانتفاضة. فعلى الرغم من الحوافز والمغريات الجديدة التي توفرها السلطات الاسرائيلية للمستوطنين في الارض المحتلة، فان استمرار الانتفاضة الفلسطينية سيجعل من الصعب تحقيق هدف استيطان مئة ألف يهودي في الارض المحتلة... ويعتقد العديد من المراقبين بأنه اذا استمرت الانتفاضة الفلسطينية، وتصاعدت، فانها ستؤدي الى ايقاف تدفق المستوطنين الى الارض المحتلة، وربما البدء بترحيل المستوطنين القدامى عبر 'الخط الاخضر'، كما ان الانتفاضة قضت على افتراءات هؤلاء الاسرائيليين والمستوطنين الذين كانوا يتظاهرون بأنهم على علاقات طيبة مع الفلسطينيين، وان الضفة الغربية ليست محتلة»[٥٩]. ونشير، هنا، الى ان مصادر اسرائيلية اعترفت بـ «ان المستوطنين أخلو ٤٦ مستوطنة في الضفة والقطاع، بسبب استمرار الانتفاضة»[٦٠].

وختاماً، نقول ان الانتفاضة الشعبية الفلسطينية المجيدة قد خلقت حقائق استراتيجية جديدة على صعيد المنطقة، لا يمكن تجاهلها عند البحث في اي حل يتعلق بالصراع الدائر بين الفلسطينيين والعرب، من جهة، والاسرائيليين، من جهة أخرى؛ اذ «لم يعد بمقدور السياسة الاسرائيلية ان تتجاهل سكان المناطق المحتلة، أو تبحث عن ممثلين مصطنعين يختارهم الحكام العسكريون في المناطق المحتلة»[٦١]؛ لا بل «ان الفلسطينيين جعلوا من قضية الحوار بين اسرائيل و م.ت.ف. مسألة كرامة، وجعلوا من م.ت.ف. اكثر من كونها زعيمة للفلسطينيين في المناطق [المحتلة]، انها عنوانهم الرمز»[٦٢].

لقد أرست الانتفاضة الفلسطينية، فعلاً، دعائم الدولة الفلسطينية المستقلة، عبر نضالها